Journal Of the Iraqia University (75-1) December (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

النثر الفني في العصر الأندلسي في ميزان النقد قديماً وحديثاً

أ.م . د. فردوس إسماعيل عواد

وزارة التربية / مديرية تربية بغداد الكرخ الثانية

Artistic prose in the Andalusian era: A critical analysis, both ancient and modern.

Assistant Prof. Dr Firdews Ismail Awad
firdosesmail70@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين وصحبه وبعد : فإن الخوض في مضار النثر الأندلسي شائك ، وذلك لقلةِ المصادرِ ، التي تناولَتْ النثر الأندلسي ، فليس هناك كتاب جامع لما عرف لدى الأندلسيين من فنون نثرية ، وظل الظن بأنَّ النثر في الأندلس انعكاس لصورة مشرقية.وفي أثناء تتبعي للنثر في الأندلس وجدته مجموعة رسائل وخطب ،ومقامات مبثوثة في طيات كتبهم .فالبحث انصب على استقراء تطور النثر الفني ، والوقوف لدى الكُتاب الأندلسيين اللذين ألفوا الرسائل والخطب ومنهم ابن شهيد الأندلسي ، وبديع الزمان الهمذاني وابن دراج القسطلي ، وغيرهم . لقد قسمتُ البحث على أربعة مباحث المبحث الأول : النثر الأندلسي ، والمبحث الثاني : الرسائل الديوانية ، والمبحث الثالث : الرسائل الأخوانية ، والمبحث الرابع : الرسائل الأدبية ، والمبحث الخامس : الخطابة ، والمبحث السادس : المقامة ، وأعقبت ذلك بخاتمة بينَّت فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها . أرجو أن أكون قد وفقت في عملي وما صبوتُ إليه من عرض الموضوع ودراسته واستخلاص نتائجه ، وأسأل الله السَّداد في عملنا والتوفيق في خطواتنا العلمية ، والحمد لله رب العالمين .**الكلمات المفتاحية : النثر الفني ، العصر ، الأندلس ، الرسائل ، المقامة .**

Introduction

Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon the Seal of the Prophets, Muhammad, may God bless him and grant him peace, and upon his good family and companions. And after: Delving into the harms of Andalusian prose is thorny, due to the scarcity of sources that deal with Andalusian prose. There is no comprehensive book of the prose arts known to the Andalusians, and the belief remains that prose in Andalusia is a reflection of an oriental image .While I was tracing prose in Andalusia, I found it to be a collection of letters, speeches, and shrines scattered in the folds of their books . The research focused on extrapolating the development of artistic prose, and studying the Andalusian writers who wrote letters and speeches, including Ibn Shahid Al-Andalusi, Badi' al-Zaman al-Hamdhani, Ibn Darraj al-Qastali, and others .I divided the research into four sections: the first section: Andalusian prose, the second section: Diwaniyah letters, the third section: fraternal letters, the fourth section: literary letters, the fifth section: rhetoric, and the sixth section: Maqamah and its successors This is followed by a conclusion in which I explained the most important results that I reached. .I hope that I have succeeded in my work and in what I aspired to in presenting the subject, studying it, and drawing its conclusions. I ask God for guidance in our work and success in our scientific steps. Praise be to God, Lord of the Worlds. Keywords: artistic prose, era, Andalusia, letters, Maqamah.

المبحث الأول : النثر الأندلسي

عاشت الأندلس وسط مناخ سياسي متقلب أثر سقوط الخلافة الأموية ، إلا إنَّ الكُتاب " أنشأوا نثرا كثيرا، غزير المادة .... لا يقل في أغراضه، ولا في تنوع أشكاله ، ولا في عمق معانيه ولا في جمال مبانيه عما نظمه الشعراء من القريض.. وذلك في ظرف زمني وجيز نسبيا ، وفي بيئة مهددة دوما بالغزو، مثقلة أبدا بأنباء الكوارث والملمات..." (علي محمد ، ١٩٩٠ ، ص ٦، ٧، ١٢٨...

) . فكان للسياسة في القرن الخامس الهجري وتنافس ملوك الطوائف فيما بينهم على استقطاب كبار أدباء العصر ؛ فكان لهم أثراً في ازدهار النثر، وتنوع أنماطه ، وكثرة ما كتب فيه.

يقسم النثرعلى قسمين:

الأول : نثر تأليفي : وهو ذلك النثر الذي تصاغ به المعارف الإنسانية المؤلفة في أسلوب أدبي .

ثانياً : نثر خالص : هو النثر الذي يراد به ما سوى المعارف كنقل عاطفة أو تصوير تجربة أو إيصال فكرة وما إلى ذلك . إنَّ النثر الأندلسي كان في زمن تأسيس الإمارة نثراً خالصاً ، إذ كانت الأندلس حتى ذلك الحين لا تعرف النثر التأليفي ؛ لأنه يحتاج إلى مستوى ثقافي لم تكن الإندلس قد وصلته بعد ، ولأن النثر في تلك الفترة مقصوراً على الرسائل ، والوصايا ، والمحاورات. وهذه الفروع كانت تلائم حياة الاندلسيين وتناسب ظروفهم السياسية. وكان اسلوبه في تلك الحقبة نثراً ذا تقاليد عربية خالصة فهو يتسم بالجزالة المسببة أحياناً لغرابة بعض الالفاظ ، كذلك كان يتسم بالجودة المعتمدة على الطبع أولاً ، والمستعملة لبعض المحسنات البديعية ثانياً ، وفي مقدمة تلك المحسنات السجع ، كما يتسم بالبساطة والتعبير المباشر والأبتداء بالموضوع من دون مقدمة أوتمهيد ، فقد كان يتسم بمراعاة المقامات ، فهو موجز في مواطن الإيجاز كخطب الحرب ورسائل الانذارات ، ومطنب نوعاً ما في الوصايا والمنثورات ، ومن ناثري هذه الحقبة عيسى بن فطيس ، وخطاب بن يزيد ، اللذين كانا كاتبين لهشام بن عبد الرحمن ثم لابيه الحكم ، وحجاج العقيلي كان كاتباً للحكم. ومن أمثلة المحاورات مادار بين جندي وعبد الرحمن الداخل إذ قال الجندي : " يا ابن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين إليك فررت ، وبك عذت . من زمن ظلوم ، ودهرغشوم قلل المال ، وعثر العيال ، وشعث الحال ، .... " (هيكل ، ١٩٨٥، ١١٠ – ١١٣) . أزدهرت الكتابة في عصر الطوائف في عهد الدولة العامرية ، وفترة الفتنة ، وفيها ظهر أكابر الكتّاب الناثرين ومنهم (ابن برد الأكبر ، عبد الملك بن إدريس الجزيري ، ابن دراج القسطليّ ، ابن شهيد ، ابن حزم ، ابن حيان المؤرخ ، ابن زيدون) . تمتاز هذه المرحلة عن سابقاتها بمميزات كثيرة منها تغير المؤثرات التي أخذ يتلقاها هؤلاء الكتّاب ، إذ تغيرت النماذج المشرقية التي يقتدون بها وأصبحت طريقة (سهل بن هارون) و (الجاحظ) أولاً ، ومن ثَّم طريقة بديع الزمان الهمذاني ، فهما الأنموذج الأعلى للمنشئين بالأندلس . تمتاز هذه الحقبة بالثورة بالتقصير في الكتابة أيضاً ، وكذلك تميزت أصول الكتابة وبطرائقها وأساليبها ، وهذا راجع إلى قوة حركة النقد ، فلم يكنْ أخذ طرائق المشارقة تقليداً فحسب ، بل كان مبنياً على فهم التنوع للأساليب النثرية وإدراك لمميزاتها ، وقد كان ابن حزم ذا نظرة ثاقبة في نقد الأساليب ، وتمييز المذاهب النثرية وتطورت (عباس ، ١٩٩٧، ص٢٩٨)

، كما إنَّ لابن شهيد بصيرة الناقد ، فذكره الدكتور أحمد هيكل بقوله إن له : " لمعات نقدية عظيمة الشأن "(المعطاني ، ١٩٧٧ ، ص٥٤) .

المبحث الثاني : الرسائل الديوانية

هي الرسائل التي تصدر من ديوان الخليفة أو الأمير أو القاضي لاغراض عدَّة ومتنوعة وفي مجالات مختلفة من سياسة وإدارة وحرب وسلم ... وغيرها وكذلك تعد الرسائل الديوانية منشورات رسمية تعكس الوجه السياسي والحضاري للدولة في الأندلس ، فهي تحمل سمات فنية انفردت عن قرينتها في المشرق ، لأنها أرتبطت كثيراً بأوضاع العصر، فاختلفت مواضيعها ، وتعددت بحسب ما يقتضيه التطور السياسي والحضاري والاجتماعي . ففي صدر الدولة الأموية في الأندلس كان النثر الديواني ذو طابع إعلامي إذ تنحصر وظائفه في تبليغ إدارة الحكام ، إذ كانت تدور حول وعود يقطعها الولاة إلى القادة المنفصلين عن حكمهم ، وإلى العرب النازلين بأطراف مختلفة من الأندلس يرجون نصرهم وتأييدهم ، كما عالجت غرض الفتوح والجهاد . أما في عصر الطوائف فقد بدأت الكتابة الديوانية تأخذ منحى آخر خاص بوفود الأدباء والعلماء والمفكرين على الأندلس ، وكذلك كانت تدور هذه المراسلات بين حاكم المدينة وعماله حول شؤون الأمن والعمليات العسكرية ، وإلى جانب هذه الأغراض السياسية نجد من الوثائق ما هو عقود أمان ومعاهدات المودة والصلح ، واستنهاض الهمم للدفاع عن الدين .... وغيرها . (ينظر : جباري، رسالة ماجستير ، ٩٤– ٩٥) .

ومن أهم ما يميز هذه الرسائل :

ان اغلب الرسائل امتازت بالإسهاب والتطويل ، والاقتباس والتضمين والبدء بالبسملة ، والاكثار من السجع والفواصل . يُعدّ ابن بُرْد الأصغر واحداً من كبار كتاب تلك الحقبة ، الذين أسهموا في إثراء هذا اللون في صنع جانب من أحداثها' إذْ أورد ابن بَسّام قطعة من نثره الديواني تنخرط في سلك الأمان (ابن بَسّام ، تح : د. إحسان عباس ، ١٩٧٨– ١٩٧٩ ، ج/١ :٤٩٧– ٥٠١) . يتأرجح فيها

بين أسلوب المصانعة والملاطفة تارة ، وأسلوب الزجر والتهديد تارة ثانية ، والمزج بينهما تارة أخرى. ومن غريب عهود الأمان كتبه ابن بُرْد الأصغر ، فقال : " أما بعد ، فإنكم سألتم الأمان أوان تلمظت السيوف إليكم، وحامت المنايا عليكم، وهمت حظائر الخذلان أن تفرج لنا عنكم ، وأيدي العصيان أن تتحفنا بكم" (ابن بَسّام ، تح : د. إحسان عباس ، ١٩٧٨– ١٩٧٩ ، ج/١ : ٥٠٠) .ثم يتخذ من الملاطفة وسيلة للتقرب ، ومزج الترغيب بالترهيب ، فقال : " مهدنا لك الترغيب لتأنس إليه ، وظللنا لك الترهيب لتفرق منه .... وأمان الله لك منا، ومواثيقه بالوفاء لك ، مقصورة علينا .... إلا أن تطيش الصنيعة عندك.. فلسنا بأول من بغي عليه ، ولست أول من بدت لنا مقاتله من أشكالك إن بغيت ، وانفتحت لنا أبواب استئصاله من أمثالك إن طلبت ... " (ابن بَسّام ، تح : د. إحسان عباس ، ١٩٧٨– ١٩٧٩ ، ج/١ : ٥٠٠) .

المبحث الثالث : الرسائل الإخوانية

تعد الإخوانيات من أقدم أشكال النثر الفني بزوغا وأكثرها انتشاراً ورسوخ أسس وقوالب، (د. مبارك ١٩٣٤ : ج١ /٢٠٠) وهذا يتضح جلياً في التزام مبدعي أندلس القرن الخامس الهجري بهذه الأسس وتلك القوالب في مراسلاتهم النثرية (السيوفي ، ١٩٨٥ ، ص ١٨٥– ١٩٠) . وتسمى أيضاً بالرسائل الشخصية ،وتختلف هذه الرسائل عن الرسائل السلطانية أو الديوانية وهي رسائل يعبر فيها الكاتب عن قضايا خاصة وأمور شخصية ، أو تتعلق بشأن من شؤونه في علاقات مع الأهل والاصدقاء ومن قرب مكانه أو بعد مزاره ، وتدخل في تلك الرسائل التهاني ، والعتاب ، والاعتذار، والاستعطاف ، والتعازي ، والثناء والشكر ،.... وغيرها .وأدخل مؤرخو الأدب في الرسائل الاخوانية الرسائل المتبادلة بين الأدباء بعضهم لبعض ، وبينهم وبين غيرهم ، وتقترب خصائص الرسالة هذه الرسائل من خصائص الرسائل الديوانية ، غير أن الرسائل الديوانية أطول ، وتلتزم فيها عادة أصول الكتابة ، ورسوم المخاطبات الملوكية والسلطانية (ينظر : الداية ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م ، ص ٢٢٧ – ٢٢٢) . لقد عدَّ بعض الكتّاب المحدثين الرسائل الأخوانية في عداد الرسائل الأدبية ، كما فعل دكتور شوقي ضيف في كتابه (العصر العباسي الأول) ، وأيضاً الدكتور عبد العزيزعتيق في كتابه (الأدب العربي فى الأندلس) ، إذ أدخل في امثلته للرسائل الأخوانية بعض الرسائل الأدبية كرسالتي ابن زيدون (ت ٤٦٢ هـ) الهزلية والجدية ، ورسالتين (ينظر : الجودي ، رسالة ماجستير ، ١٩٩٠، ص ٩٤–٩٥) أدبيتين لابن برد الاصغر (ت ٤٤٠ هـ) . والسبب في ذلك أن بعض الكتّاب قد أجادوا في أغلب رسائلهم الأخوانية، حتى ان بعض هذه الرسائل أرتقى ليصبح في عداد الرسائل الأدبية التي تروع ببلاغتها ، وذلك عن طريق قدرة الكاتب على الانتقال من الخصوصية والعمومية ، كما ان الدكتور عبد العزيز عتيق جعل الرسائل الأدبية كنوع من الأدبية ، ذلك بأنه نظر إلى الأصل في الظهور، فقد ظهرت الرسائل الأخوانية أولاً ، ثّم اتسمت موضوعاتها وتعددت أغراضها، حتى ظهرت الرسائل الأدبية جلية وواضحة (الجودي ، رسالة ماجستير ، ١٩٩٠، ص ٩٢ – ٩٤).

مثال على الرسائل الأخوانية

رسالة ابن الخطيب التي بعث بها إلى أبي عبد الله محمد بن نصر (الغني بالله) يقول فيها : الدهر أضيق فسحة من أن يرى بالحزن والكد المضاعف ، يقطع واذا قطعت زمانه في كربة ضيعت في الأوهام ما لا يرجع ، فاقتنع بما اعطاك دهرك واغتنم منه السرور ، وخل من لا يقنع " (الجودي ، رسالة ماجستير ، ١٩٩٠، ص ١٠٠). وهذه الرسالة أرسلها ابن الخطيب إلى الغني بالله بالحقبة التي خلع فيها ، ولجأ إلى المغرب .

المبحث الرابع : الرسائل الأدبية

ظهر في التراث الأندلسي كثير من الرسائل الأدبية ، فتعددت أغراضها ، واظهر الأديب الأندلسي براعة في تناول موضوعاته وتلوينها ، وصدرت رسائل أدبية تعالج جوانب ذات علاقة بالخصوصية الأندلسية مثل الرسائل التي تتخذ من الجهاد وتصوير المعارك موضوعات لها ، وكذلك الرسائل التي تقال على لسان الأزهار والنّوار وما يخص الطبيعة ، والرسائل التي يعتمد كاتبها فيها على عنصر الفكاهة والدعابة ، **ومن هذه الرسائل الأدبية : هي الزرزوريات ، و الرسائل النبوية، ورسائل ابن برد الاصغر ، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ، والرسالة الجدية والهزلية لابن زيدون** (الداية ، ١٤٢١ هـ –٢٠٠٠م ، ص ٢٢٤).

من بين هؤلاء يأتي ابن بُرْد الأصغر (كان حيّاً حتى سنة ٤٤٠هـ) برسالته (المفاخرة بين السيف والقلم) : إذْ يُعد ابن برد أول من سبق إلى عقد مفاخرة بين السيف والقلم في الأندلس (الحموي (ت٦٢٦هـ) : تح : أحمد الرفاعي ، ١٩٣٦ ، ج/ ٦ : ١٠٦)،

وقد نقل هذا السياق الشعري القديم الذي ورد على السنة أعلام الشعر العباسي الكبار ، مثل المتنبي وابن الرومي وابو تمام .... إلى النثر الفني عن طريق رسالة كتبها لمجاهد العامري ، متخذاً من هذه الصيغة وسيلة غير تقليدية لمدحة ، ورصد جانب من جوانب الصراع الخفي بين المنتمين لدولتي السيف والقلم بالأندلس آنذاك والاعراب من طرف خفي عن رغبته في المساواة بينهما ، فالسيف والقلم باعتبارهما رمزين للقوة (جماليات النثر الأندلسي ، محمد ميدان ، بحث على شبكة الانترنيت) .

يبدأ القلم متباهياً بتلك القداسة التي غمرته ، مستمداً هذا التباهي من بعض آي الذكر الحكيم ، فيقول : "ها، الله أكبر، أيها السائل... خير الأقوال الحق، وأحمد السجايا الصدق، والأفضل من فضله الله – عز وجل– في تنزيله ، مقسماً به لرسوله ، فقال : (ن .. والقَلمِ وَما يَسْطُرُونْ)، وقال: (اقرأ وَرَبُكَ الأَكْرَم الذي علَّمَ بالقَلَم)... لقد أخذت الفضل برمته، وقدت الفخر بأزمته " (ابن بسام ، ١٩٨٧ – ١٩٧٩ ، ج/١ : ٥٢٤).

ويرد السيف عليه ، إذ يقول : " قيمة كل امرئ ما يحسن " (ابن بسام ، ١٩٨٧ – ١٩٧٩ ، ج/١ : ٥٢٤)، وهنا يستصرخ القلم مصادر التاريخ باحثاً عن دليل يشي بازدواجية الفائدة لديه ، فيقول : " وهل أنا إلا قطب تدور عليه الدول، وجواد شأوه يدرك الأمل ، شفيع كل ملك الى مطالبه، ووسيلته إلى مكاسبه، وشاهد نجواه قبل كل شاهد ، ووارد معناه قبل كل وارد " (ابن بسام ، ١٩٨٧ – ١٩٧٩ ، ج/١ : ٥٢٥) .

رسالة التوابع والزوابع : لابن شهيد

وهي رحلة خيالية قام بها ابن شهيد مع تابع له اسماه (زهير بن نمير) إلى أرض الجن ، وأجرى فيها حوارات مع توابع الشعراء والكتّاب والنقاد لكي يحصل على أجازاتهم . وهذه الرسالة تسمى أيضاً بشجرة الفكاهة ، ولم تصل إلينا كاملة ، وإنما وردت في كتاب الذخيرة لابن بسام الشنتريني على شكل فصول ، وفي هذه الرسالة يخاطب ابن شهيد صديقه أبا بكر بن حزم (ينظر: د. إحسان عباس ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠٣) يقول ابن شهيد في مدخل رسالته : " كنتُ أيّام كتاب الهجاء، أحِنُّ إلى الأدباء ، وأصبُو إلى تأليف الكلام ؛ فاتبعتُ الدَّواووين ، وجلستُ إلى الأساتيذ ، فنبض لي عِرقُ الفهم ، ودَرَّ لي شريانُ العلم ، بموادَّ روحانية .... فأُرتجَ عليَّ القولُ ، وأُفحمتُ ، فإذا أنا بفارسٍ ببابِ المجلسِ على فرسٍ أدهم كما بَقَل وجههُ ، قد اتكأ على رُمحه ، وصاح بي : أعجزاً يا فتى الإنس ؟ قلتُ : لا وأبيك ، وللكلام أحيان ، ..... وقلتُ له : بأبي أنت ! من أنت ؟ قال : أنا زُهيرُ بن ابن نُمير من اشجعِ الجنِ ، فقلتُ: وما الذي حداكَ إلى التصوُّرِ لي ؟ فقال : هوى فيك ، ورغبةٌ في اصطفائك . قلت : أهلاً بك .... " (ابن شهيد الأندلسي، تح : بطرس البستاني ، ١٩٥١، ص٨٩).

الرسالة الجدية والهزلية : لابن زيدون

من أهم الرسائل النثرية الأندلسية الرسالة الجدية ، فقد انشأها ابن زيدون وهو في السجن ، وارسلها إلى ابي الحزم ابن جهور – أحد ملوك الطوائف – ليستعطفه فيها ، ويطلب منه أن يعيد النظر في أمر سجنه ، ولكي يدافع عن نفسه أمام تلك الدسائس والمكائد التي حاكها الوشاة والمبغضون ضده (ينظر : الياسين ، ٢٠١٥ ، ص ٨١٧) .

فيقول في رسالته الجدية :

" حنانيك ! قد بلغ السيلُ الزُّبَى ، ونَالني ما حسبي بهِ و كفى ، وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لأدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح (أركب معنا) فقلتُ (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) وأمرت بناء صرح (لعلي أطَّلعُ إلى إله موسى) واعتكفت على العِجْلِ ، واعتَدَيْتُ في السبت ، وتعاطيتُ فعقرتُ الناقةَ ، وشربتُ من النهر الذي أُبتُلي به جنودُ طالوتَ ، وقدمت لأبْرَهة .... "(ينظر : الياسين ، ٢٠١٥ ، ص ٨٢٠)

أمّا الرسالة الهزلية : كتبها ابن زيدون بعد ان انقطعت العلاقة بينه وبين ولادة بنت المستكفي ، عندما دخل بينهما الوزير ابن عبدوس ، فكتب ابن زيدون هذه الرسالة على لسان ولادة بنت المستكفي ، وتمتاز هذه الرسالة بطابع السخرية (ينظر: الرسالة الهزلية ، أدي ولد آدب ، ص ٢٣٣).

نص من الرسالة الهزلية :

" أما بعد ، أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلظه ، العاثر في ذيل اغتراره الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ... " (ينظر: الرسالة الهزلية ، أدي ولد آدب ، ص ٢٣٤)

المبحث الخامس: الخطابة

إنَّ دواعي الخطابة كانت متوافرة في الأندلس ، بسبب الخصومات القبلية والسياسية العنصرية فيما بين العرب أنفسهم ، وفيما بينهم وبين البربر، ثم فيما بين السلطة الأموية في قرطبة والتأرين عليها في الولايات . ولعل أول خطبة وصلت إلينا تنسب إلى (طارق بن زياد) قائد الفتح العربي الأندلسي ، التي يحثهم فيها على القتال ، ويذكر بوعد الله للمقاتلين في سبيله . لقد وصلت خطبة لا تتجاوز السطرين لموسى بن نصير الذي قال فيها بعد الحمد والثناء " أيها الناس أني متقدم أمام الصفوف ، فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا وأحملوا " (ينظر : د. الأوسي ، ١٩٧١ م ، ص ٧٦) .أما في عصري الطوائف والمرابطين تربع النثر على عرش الأدب ؛ لان ذلك العصر شهد نكبات مما جعل الكتّاب يقبلون على النثر ، فدبَّجوا الخطب بالرسائل ، وكان من الطبيعي ان يلقي الخطباء الخطب في مناسبات عدَّة ، ومنها الأعياد وأيام الجُمع ، وفي الحض على الجهاد ، فقد استوعبت الخطبة الأندلسية أبعاداً معبرة عن الأندلسيين ، فقد تفوق النثر في جميع فنونه ، إذْ خاطب الكتّاب الأندلسيون العقل وتخللوا وجدانهم ،وأثروا في أنفسهم . فلم تختلف الخطابة الأندلسية عن الخطابة المشرقية إلَّا من حيث الموضوع ، أما من حيث الصياغة فهي مشابهة لها ، إذ تبدأ بالحمد والثناء ، وفيها مراعاة أحوال المتلقين وتشتمل على بعض المحسنات البديعية (ينظر: عبد اللات ، أطروحة ٢٠٠٧ ، ص ٦١).

أنموذجاً على الخطابة

خطبة عبد الرحمن الذي تأثر فيها بأسلوب عبد الحميد الكاتب ، فقال : " الحمد لله الذي جعل الموت حتماً من قضائه، وعزماً من أمرهِ : واجرى الأمور على مشيئته ، فاستأثر بالملكوت والبقاء ، وأذل خلقه فما [لهم نجاة من] الفناء تبارك اسمه، وتعالى جده وصلى الله على نبيه ورسوله وسلم تسليماً ، وكان مصابنا بالإمام رحمه الله ، مما جلت المصيبة ، وعظمت به الرزية ، فعند الله نحتسب ، وإياه نسأل إلهام الصبر ، وإليه نرغب في كمال الأجر والذخر. و[قد] عهد إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم ، ولسنا ممن يخالف عهده ، بل لكم لدينا المزيد إنَّ شاء الله " (ابن عذاري (ت٧١٢ هـ) ، تح : بشار عواد معروف ، وآخرون ، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ ، ج ٢ : ١٣٥) .

المبحث السادس : المقامة

اهتم الأندلسيون بمقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري ، وأولوها عناية كبيرة ، فالفوا العديد من المقامات منذ أن ظهرت مقامات الهمذاني والحريري ، ولكن لم يصلْ إلينا من مقاماتهم إلّا القليل جاءت مبثوثة في بطون المصادر الأدبية الأندلسية كالذخيرة لابن بسام ، والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب وغيرهما. إنَّ كثير من المقامات الأندلسية كانت تقليداً للمقامات المشرقية ، حتى في اسماء رواتها وأبطالها وشخوصها وأماكنها كما هو الحال في المقامات اللزومية للسرقسطي ، وهناك قسم آخر منها استطاع أن يتحرر من تلك الهيمنة المشرقية وتقليدها ، مثلما نجح في التحرر من بعض القيود الشكلية للمقامات : ونجح في إلباسها الثوب الأندلسي ، كما في مقامات لسان الدين ابن الخطيب ، ومقامات الفقيه عمر الزجال (ينظر: د. جرار ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م ، ص١٥٥) . إنَّ فن المقامة يرجع إلى أصول مشرقية ، ابتكره الهمذاني منتصف القرن الرابع الهجري ، وسار عليها من جاء بعده من المشارقة والمغاربة . (ينظر : د. فارس الكفاوين ، ٢٠١٩ ، ص ٧٦) .ومن المقامات التي حضرت فيها الشخصية الأندلسية وتحررت من قيود المقامة المشرقية ، لكنها لم تتخلّ عن ظلاها : المقامات المحسنية لأبي عبد الله الجوني : وان مقامته هي مقامة شعرية ، ذات شخصوص حقيقية ووقائع حقيقية ، تصف مجلساً علمياً في مدينة مالقة دارت فيه مساجلات أدبية طريفة شارك بها ابو عمر بن سالم وثلاثة عشر طالباً من طلبتهِ ، فأقام ابو عبد الله الجوني بتدوين تلك المساجلات وأطلق عليها المقامات المحسنية نسبة إلى عبد المحسن بن علي الذي كان موضوع تلك المساجلات (ينظر: د. جرار ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م ، ص١٥٥ – ١٥٦) .

مثال على المقامة (المقامة الشلبية لأبي الوليد بن سيد أمير)

" حدثتُ سمان بن زمان ، أو أبان بن شيبان ، عن حيان بن عيان ، وليس ابن من كان ، صاحب فلان بن فلان الذي أنشأ " ميزان الاعيان بحكم الزمان " ، قال : " قذفت بي غربة النوى إلى الغرب ، فأشلْتُ النعامة على ابن النعامة إلى شلب . مسقط رأسي

، ومكان أنسي ، وهي غدي من الدهر وأمسى ، فلما قاربت الإشراف عليها ، وقد أبرحَ الشوق إليها ، لقيتُ وقد انتصف النهار، شيخاً في أطمار، على حمار وهو يسير الهويني .... " (رسائل ومقامات اندلسية ، تح: فوزي سعد عيسى ، ١٩٨٩ ، ص ١٦٠). إنَّ راوي المقامة الشلبية يقتصر دوره على قص الحوار الذي جرى بينه بين البطل ، فهو لايقوم بالدور نفسه الذي يقوم به بطل المقامة لدى بديع الزمان الهمذاني والحريري (د. فارس الكفاوين ، ٢٠١٩ ، ص ٧٣ – ٧٦) .

الخاتمة

عن طريق البحث عن النثرالفني لدى الأندلسيين توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج نذكر منها :

١- تأثر الكتّاب الأندلسيين بالمذاهب المشرقية وساروا على خطاهم ، ومواكبة حركة النثرالفني الأدبي في الأندلس للنثر في المشرق .

٢- إنَّ النثر الأندلسي كان نثراً خالصاً ، وبعدها بدأوا بكتابة النثر التأليفي .

٣- أزدهرت الكتابة في العصر الأندلسي وفيها ظهر أكابر الكتّاب الناثرين ومنهم (ابن دراج القسطليّ ، ابن شهيد ، ابن حزم ، ابن زيدون ، وغيرهم) .

٤- تطورت الرسائل الديوانية بمرور العصور الأندلسية حتى ارتست ملامح خاصة بها ، فامتازت بالإسهاب والتطويل ، والاقتباس والتضمين والبدء بالبسملة ، والاكثار من السجع والفواصل .

٥- في عصري الطوائف والمرابطين تربع النثر على عرش الأدب ؛ لان ذلك العصر شهد نكبات مما جعل الكتّاب يقبلون على النثر ؛ لألقاء الخطب في مناسبات عدَّة ، ومنها الأعياد وأيام الجُمع ، ، وغيرها للتعبيرعن الأندلسيين .

٦- تفوق النثر في فنونه جميعاً ، إذْ خاطب الكتّاب الأندلسيون العقل وتخللوا وجدانهم ، وأثروا في أنفسهم .

٧- تعددت أغراض الرسائل الأدبية ، واظهر الأديب الأندلسي براعة في تناول موضوعاته وتلوينها ، وصدرت رسائل أدبية ، مثل رسائل الجهاد ، والرسائل الرسائل النبوية ، والرسالة الجدية والهزلية .

٨- تطور النثر في عصر الأندلسي تطوراً واضحاً وظهرتْ كثير من الكتب تناولَتْ النثرالفني في الأندلس مبنية على أسس واضحة .

٩- تعددت طرائق تعبير الأدباء الأندلسيين ، فاهتموا بالألفاظ والصيغ واعتدلوا في استعمال المحسنات البديعية ، محتفظين بالملامح الأندلسية .

١٠- تمتلك المقامة قالباً فنياً وتشكيلاً أدبياً ، يضم عناصر من ضمنها العنوان والمحسنات البديعية والوصف وتوظيف التراث ، مما اضفى الأدبية والشاعرية والجمالية على المقامة .

١١- تداخل الفن المقامي الأندلسي مع حدد الفنون النثرية الأخرى ، من خطبة ورسالة وغيرها .

Conclusion

Through research on artistic prose among Andalusians, the researcher reached a number of results, including:

1- Andalusian writers were influenced by the Eastern doctrines and followed in their footsteps, and the literary artistic prose movement in Andalusia kept pace with prose in the East.
2- Andalusian prose was pure prose, and after that they began writing authorial prose.
3- Writing flourished in the Andalusian era, during which the greatest prose writers appeared, including (Ibn Darraj al-Qastali, Ibn Shahid, Ibn Hazm, Ibn Zaydoun, and others).
4- Diwaniyah letters developed over the Andalusian eras until they acquired features of their own. They were distinguished by elaboration and length, quotation and inclusion, beginning with the basmalah, and many sajdas and commas.
5- In the era of the sects and the Almoravids, prose took the throne of literature. Because that era witnessed calamities, which made writers turn to prose. To deliver speeches on many occasions, including holidays, Fridays, and others, to express the Andalusians.
6- Prose excelled in all its arts, as the Andalusian writers addressed the mind, penetrated their consciences, and influenced themselves.
7- The purposes of the literary treatises were multiple, and the Andalusian writer showed ingenuity in dealing with and coloring his topics, and literary treatises were issued, such as the jihad treatises, the prophetic treatises, and the serious and comic treatise.

8- Prose developed clearly in the Andalusian era, and many books appeared that dealt with artistic prose in Andalusia, based on clear foundations.
9- The methods of expression of Andalusian writers were numerous. They paid attention to words and formulas and were moderate in their use of creative refinements, preserving the Andalusian features.
10- The Maqamat has an artistic form and literary composition, which includes elements including the title, creative features, description, and the use of heritage, which added literary, poetic, and aesthetic character to the Maqamat.
11- The intersection of Andalusian Maqami art with select other prose arts, such as sermons, letters, and others.

المصادر

١- ابن شهيد الأندلسي ، (١٩٥١م). : رسالة التوابع والزوابع ، تح : بطرس البستاني ، بيروت ، مكتبة صادر .

٢- ابن عذاري ،أبي العباس أحمد بن محمد (ت٧١٢ هـ) ، (١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م) ، البَيَانُ المُغْرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تح : بشار عواد معروف ، ومحمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي – تونس ، ط ١.

٣- إحسان عباس : (١٩٦٩م) ، تاريخ الأدب الأندلسيّ (عصر سيادة قرطبة) المكتبة الأندلسية (٢) ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط١ .

٤- إحسان عباس : (١٩٩٧م) ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، دار الشروق ، عمان ، الأردن ، ط١ .

٥- إحسان عباس (١٩٧٨– ١٩٧٩م) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بَسّام، أبو الحسن علي (ت٥٤٢هـ) ، تح ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان.

٦- أحمد هيكل : (١٩٨٥م)، الأدب الأندلسي في الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، القاهرة .

٧- الأوسي : د. حكمة علي (١٩٧١م) ، فصول في الأدب الأندلسي ، في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، مطبعة سلمان الأعظمي – بغداد.

٨- الحموي ، ياقوت (ت٦٢٦هـ) ، (١٩٣٦م) : معجم الأدباء ، تح : أحمد فريد الرفاعي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

٩- زكي مبارك النثر (١٩٣٤م) : الفني في القرن الرابع ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة .

السيوفي : مصطفى السيوفي (١٩٨٥م)، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان .

١٠- صلاح محمد جرار: (١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م) ، دراسات جديدة في الشعر الأندلسي ، دار المسرة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ .

١١- علي محمد (١٩٩٠م) : النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

١٢- فوزي سعد عيسى (١٩٨٩م) ، رسائل ومقامات اندلسية ، مطبعة المعارف ، الإسكندرية ، ط١.

١٣- محمد رضوان الداية (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م): في الأدب الأندلسي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، ط١ .

رسائل جامعية

١- سامية جباري : أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس (من فتح الأندلس إلى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ (، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية.

٢- سعود غازي محمد الجودي (١٩٩٠ م) ، فنون النثر في أدب ابن الخطيب الأندلسي (ت ١٧٦) ، ، رسالة ماجستير قُدمت للمملكة العربية السعودية .

٣- عبد اللات : فاطمة مفلح مرشد ، كانون الأول (٢٠٠٧م) ، الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين ، أطروحة قُدمت إلى الجامعة الأردنية – كلية الدراسات العليا .

٤- المعطاني ، عبد الله سالم : (١٩٧٧م) ، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي : رسالة ماجستير قُدمت لجامعة الملك عبد العزيز – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . مكة المكرمة .

الدوريات

١- إبراهيم منصور الياسين : تجليات التناص في الرسالة الجدية ، لابن زيدون : ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج (٤٢) ، ع (٣) ، (٢٠١٥م) .

٢- أدي ولد آدب : الرسالة الهزلية : قراءة في الوجه الآخر لابن زيدون.

٣- الكفاوين : د. عمر فارس ، مارس ٢٠١٩م : البنية السردية في المقامة الشلبية ، مج (٨) ، ع (١) .

المقالات

أيمن محمد ميدان ، جماليات النثر الأندلسي ابن برد الاصغر أنموذجا ، بحث على شبكة الانترنيت .

Sources

1. Ibn Shahid al-Andalusi, (1951 CE): Risalat al-Tawabi' wa al-Zawabi', ed. Butrus al-Bustani, Beirut, Sader Library.
2. Ibn 'Idhari, Abu al-'Abbas Ahmad ibn Muhammad (d. 712 AH), (1434 AH - 2013 CE), Al-Bayan al-Mughrib fi Ikhtisar Akhbar Muluk al-Andalus wa'l-Maghrib, ed. Bashar 'Awad Ma'ruf and Mahmoud Bashar 'Awad, Dar al-Gharb al-Islami, Tunis, 1st ed.
3. Ihsan 'Abbas (1969 CE), Tarikh al-Adab al-Andalusi ('Asr Siyadat Qurtuba), Al-Maktabah al-Andalusiyyah (2), Dar al-Thaqafah, Beirut, Lebanon, 1st ed.
4. Ihsan Abbas: (1997), A History of Andalusian Literature (The Era of the Taifa Kingdoms and the Almoravids), Dar al-Shuruq, Amman, Jordan, 1st edition.
5. Ihsan Abbas (1978-1979): Al-Dhakhira fi Mahasin Ahl al-Jazira: Ibn Bassam, Abu al-Hasan Ali (d. 542 AH), ed., Dar al-Thaqafa, Beirut, Lebanon.
6. Ahmad Haykal: (1985), Andalusian Literature from the Conquest to the Fall of the Caliphate, Dar al-Ma'arif, Cairo.
7. Al-Awsi: Dr. Hikmat Ali (1971 CE), Chapters in Andalusian Literature, in the Second and Third Centuries AH, Salman al-A'zami Press – Baghdad.
8. Al-Hamawi, Yaqut (d. 626 AH), (1936 CE): Dictionary of Writers, ed. Ahmad Farid al-Rifa'i, Isa al-Babi al-Halabi Library, Cairo.
9. Zaki Mubarak al-Nathr (1934 CE): The Art of Prose in the Fourth Century, Dar al-Katib al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo.
10. Al-Sayoufi: Mustafa Al-Sayoufi (1985 CE), Features of Renewal in Andalusian Prose During the Fifth Century AH, Alam Al-Kutub, Beirut, Lebanon.
11. Salah Muhammad Jarar: (1435 AH - 2014 CE), New Studies in Andalusian Poetry, Dar Al-Masarra for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st Edition.
12. Ali Muhammad (1990 CE): Andalusian Literary Prose in the Fifth Century: Its Themes and Forms, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.
13. Fawzi Saad Issa (1989 CE), Andalusian Letters and Narratives, Al-Maaref Press, Alexandria, 1st edition.
14. Muhammad Radwan Al-Dayeh (1421 AH - 2000 CE): On Andalusian Literature, Dar Al-Fikr Al-Muasir, Beirut, Lebanon, and Dar Al-Fikr, Damascus, Syria, 1st edition.

University Theses

1. Samia Jabari: The Literature of Official Letters in Morocco and Andalusia (From the Conquest of Andalusia to the Fall of Granada 897-92 AH), Democratic Republic of Algeria.
2. Saud Ghazi Muhammad Al-Joudi (1990 CE), The Arts of Prose in the Literature of Ibn Al-Khatib Al-Andalusi (d. 176 AH), Master's Thesis submitted to the Kingdom of Saudi Arabia.

3. Abdellat: Fatima Muflih Murshid, December (2007 CE), Encouragement of Jihad in Andalusian Literature during the Taifa and Almoravid Periods, Dissertation submitted to the University of Jordan. College of Graduate Studies.
4. Al-Ma'tani, Abdullah Salem: (1977 CE), Ibn Shahid al-Andalusi and His Efforts in Literary Criticism: Master's Thesis submitted to King Abdulaziz University – College of Sharia and Islamic Studies – Makkah Al-Mukarramah.

Periodicals

1. Ibrahim Mansour Al-Yassin: Manifestations of Intertextuality in the Serious Epistle of Ibn Zaydun: Journal of Studies, Humanities and Social Sciences, Vol. (42), No. (3), (2015 CE).
2. Adi Ould Adab: The Humorous Epistle: A Reading of the Other Side of Ibn Zaydun. 3- Al-Kafawin: Dr. Omar Faris, March 2019: The Narrative Structure in the Maqama of Shalabiya, Vol. (8), No. (1) .

Articles: Ayman Muhammad Midan, The Aesthetics of Andalusian Prose: Ibn Burd al-Asghar as a Model, online research.